



إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبو بكر القاضي



المجلس التاسع والعشرون :

رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُغَلِّقُ

abobakrelkady AboBakr Elkady

www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

❖ قال إبراهيم عليه السلام في مناجاته لربه تبارك وتعالى: {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا

نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ}

[إبراهيم: ٣٨].

إبراهيم عليه السلام لا يزال متواريًا عن هاجر، متواريًا عن إسماعيل، في هذه البقعة المباركة التي يعلم أنها عند بيت الله المحرم، التي فيها قواعد بيت الله الحرام. قلبه ممتلئ حنينًا ورحمة بسريته وبولده الذي أوتيته على كبر، ولكنه أمر الله، ولكنه رضا الله الذي يقدمه على كل شيء.

سيفارق من يحب في سبيل إرضاء ربه عز وجل، هذا هو الحب الحقيقي، الحب لله عز وجل، التضحية لله، البذل لله تبارك وتعالى.

لذلك هو لا يزال يدعو ربه ويناجيه: {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٣٨].

قال ابن عباس: "أي من الحزن".

كان في قلبه حزن على فراق هاجر، وعلى فراق إسماعيل، فهو بشر طبيعي أنه يحزن، ولكنه يشتكي إلى ربه عز وجل، كما اشتكى نوح عليه السلام:

- {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} [القمر: ١٠].

كما سيشتكى يعقوب عليه السلام:

- {قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف: ٨٦].

الشكوى إلى الله عز وجل.

فالله يبتلي العباد بالكلمات الكونية والكلمات الشرعية؛ ليستخرج ما في قلوبهم من عبودية، انكسارًا وافتقارًا وتضرعًا.

- {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: ٤٣].

انكسروا، افتقروا، استكانوا لله تبارك وتعالى.

هذا هو الابتلاء، وهذا ما يؤدي إلى الاصطفاء: أن تفهم لماذا يبتليك الله.

- {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}

[النساء: ١٤٧].

حين تعلم أن هذا الابتلاء بكلمات الله الشرعية، أن أمرك أن تفارق ولدك وسريتك في هذا المكان.

"اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بهذا؟، أشار أن نعم" [صحيح البخاري] التسليم، الانقياد، كما

استسلم قبل ذلك.

{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣].

وضع وجه إسماعيل في الأرض، كما استسلم في ذبح إسماعيل عليه السلام في موطن

الرؤية الذي شرحناه في سورة الصافات، يستسلم إبراهيم هنا أيضاً، في قصة بناء

البيت لله عز وجل، يترك سريته، يترك ولده في هذا المكان القفر.

كيف معه جراب تمر ووعاء فقط من الماء؟ كيف سيعيشون؟ كيف ستستمر

الحياة؟

- إنه أمر الله، فالله يدبر لعبيده، الله أحن على عبده، أرحم على عبده من عبده.
عبده.

لذلك هاجر كانت موقنة بذلك، لقد ربي فيها اليقين والتوكل وحسن الثقة بالله.
انتهى جراب التمر، وانتهى الماء، وعطشت وعطش وليدها، وأصبح الولد يتلمظ -أي يتقطع- جوعاً، ويتقطع ظمأً، يكاد يشهق من كثرة الجوع والظمأ، يكاد يموت.

ماذا تفعل؟! ماذا تفعل الأم في هذا؟! هل ستظل ساكتة؟! هل ستنتظر الموت؟!
بل قامت تسعى بين الصفا والمروة، سبع مرات، تنظر هل من أحد؟ هل من قريب؟
هل من بعيد؟ هل من أحد يغيث؟ هل من أحد ينقذ؟

الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، ولا ينافي حسن الثقة بالله تبارك وتعالى.
ولكن أنت تأخذ بالأسباب، والنتائج على الله تبارك وتعالى.

متى تأتي النتيجة، ومن أين تأتي النتيجة؟

ليست شؤونك، ليس من شأنك، إنما هو شأن الله، شؤون الربوبية، شأن الله عز وجل.

- {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا

رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [هود: ١٢٣].

الله تبارك وتعالى سيقدر لها الفرج.

- {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا} [الطلاق: ٣:٢].

نعم، هاجر تسعى بين الصفا والمروة، إرث عظيم، سيكون إرثاً عبر العصور، من

الناس الذين سيكون هذا من شعائر الله.

- {إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ

يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١٥٨].

رمز للتوكل على الله، وحسن الثقة بالله مع الأخذ بالأسباب، مع السعي في طاعة الله عز وجل.

بعد الطواف بالبيت، وطواف قلبك بالبيت: حبًا وشوقًا وأنسًا بالله؛ فإنك تسعى، فإنك تعمل، فإنك تدعو، فإنك تعمل لدين الله، تعمل بدين الله، تخدم دين الله، تؤدي العبودية على وجهها ورسمها، تأخذ بأسباب الاستقامة في نفسك، تنصر الله في نفسك وفي نفوس إخوانك، تدعو إلى الله، تُبَلِّغ رسالات الله. تقيم الإسلام في نفسك حتى يقام لك على أرضك، تقيم دولة الإسلام في بيتك حتى تقام لك على أرضك.

- {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١].

سعي دائم متواصل، أخذ بالأسباب الشرعية، أخذ بالأسباب الدينية والدنيوية لصالح الدين والدنيا.

هذا دين تقوم به حضارة الدنيا، يقيم حضارة، يقيم الدنيا ويطهر الآخرة.

سعي، حتى يأتي الفرج بجبريل عليه السلام، يأتي فيضرب الأرض بريشة من جناحه،
فإذا هي تتفجر تحت قدم الغلام إسماعيل.

تسمع الصوت تقول صاغ، صغ -أي اسمعي، كأن هنالك صوت فإذا هي بالملك يقول
لها: "من أنت؟ تقول: أنا أم ولد إبراهيم".

الانتساب ليس إلى الأسماء، وليس إلى البلدان، وليس إلى القوميات، وليس إلى
العرقيات.

الانتساب إلى الأنبياء، الانتساب إلى عبوديتهم، رسالتهم، توحيدهم، تفريدهم.

"أنا أم ولد إبراهيم عليه السلام" خليل الله.

"إلى من وكلكما؟ فتقول هاجر: وكلنا إلى الله".

● تركنا لله، وهي موقنة أن الله لا يُضَيِّع عبده.

فيرد عليها جبريل عليه السلام: "وكلكما إلى كاف".

إلى كافٍ، الله الكافي، هو الحسب، هو نعم الوكيل.

● "وكلكما إلى كاف".

تتفجر زمزم تحت قدم إسماعيل عليه السلام، وتكون عبر العصور طعام طُعم
وشفاء سقم، تكون عبر العصور الماء المبارك، تكون عبر العصور آية من آيات الله.
- {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَسُومَنُ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [آل عمران: ٩٧].

وزمزم من آيات الله عز وجل أيضًا في هذا البيت، سبب الحياة، سبب النماء، سبب
إقبال الخلق على هذه البقعة، سبب من الأسباب.

ثم بعد ذلك حين يكبر إسماعيل يرفع القواعد من البيت مع إبراهيم عليه السلام؛
ليكون بيت الله ومقام إبراهيم.

تكون مشاعر الحج ومناسك الحج الذي سيحج إليه الأنبياء ومن بعده أقبام، ومن
بعده الشعوب والأمم المسلمة الموحدة المتبعة حقيقة للأنبياء ومخهوسى وعيسى.
على التوحيد، على الحنيفية، على الدين الإبراهيمي الصحيح، الحنيفية، التوحيد،
التفريد، الولاء والبراء، الحب في الله والبغض في الله، الكفر بالطاغوت والإيمان
بالله.

❖ {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي

السَّمَاءِ} [إبراهيم: ٣٨].

كل أحزانك ستبتدد بالشكوى إلى الله، سيغير الله ما بك، سيصنع الله لك.

- كن لله كما يريد يكن لك فوق ما تريد.

- إذا استقام قلبك على العبودية سخر الله لك أسباب الكون.